# الخـــزف

كانت صناعة الخزف من أهم الميادين التى حاز فيها الايرانيون المكانة الأولى بين الأمم الاسلامية . وقد ساعدتهم على ذلك العجينة التى امتازت بها بلادهم ، والتى تصلح بنوع خاص لصنع الأوانى الخزفية ؛ فيسهل تشكيلها وحفر الزخارف فيها أو طبعها ؛ كما تمتاز برقتها وقلة وزنها .

وليس من شك فى أن هذه الصناعة بلغت على يد السلاجقة والمغول بين القرنين السادس والثامن بعد الهجرة ( الثانى عشر والرابع عشر بعد الميلاد )، غاية الاتقان فى الهيئة والزخرفة اللتين تدلان على أوفر قسط من الخيال السعيد والذوق السليم . وإن صح لدى بعض الخبراء أن الأوانى الاغريقية فى عصرها الذهبى كانت فى الهيئة والأناقة آية دونها كل الأوانى الأخرى ، وإن صح لدى آخرين أن الخزف الذى صنع فى الشرق الأقصى ليس له نظير فى الظرف والرونق ، فان فريقا ثالثا من الخبراء والهواة يرون فى تلك الأوانى الاغريقية والصينية جمودا ، ودقة آلية فى الشكل ، وثقلا ، لا يرونه فى الخزف الايرانى ، فيحكمون له بالتفوق والسمو على سائر أنواع الخـــزف .

وعلى كل حال فقد امتازت التحف الخزفية الايرانية فى العصر الاسلامى بجمال الشكل ، وتناسق النسب ، وبريق الطلاء الزجاجى ، وإبداع الزخارف

وتنوعها[١] ، فضـلا عن تنوع الأشـكال نفسها[٢] ، ومناسـبة الزخارف لمـادة التحفة وشكلها . ولا غرو فقد كانت لايران منذ العصور القـديمة تقاليد قديمة فى صناعة الخزف ، كما يظهر من القطع الخزفية التى كشفت فى نهـاوند والتى تزينهـا زخارف هندسـية جميلة . ثم كان عصر الكيانيـين وصارت الجدران المصنوعة من الآجر تغطى — كما فى قصر مدينة السوس — بطبقة من المينا ، يمكن أن نعـدها الخطوة الأولى فى تزيين الجدران ، التى قدر لها فى العصر الاسـلامى أن تكسى بألواح القاشانى وأجزاء الفسيفساء الخزفية . وفى العصر الساسانى ازدهرت صناعة الخزف كما ازدهرت الفنون الأخرى . ولمـا انتشر الاسلام فى إيران بدأت هذه الصناعة فى التطور التدريجى حتى تخلت عن قسط كبير من الأساليب الفنية الساسانية وطبعت منتجاتها بطابع يجمع بين العناصر الزخرفيـة الاسلاميـة و بين ما ورثه الصـناع من أساليب إيرانية . على أننا لا نعرف كل ما نريد عن الخزف الايرانى فى فجر الاسلام . مع أننا نعرف عنـه فى ذلك العصر أكثر ممـا نعرف عن أى ميدان آخر من

(١) الواقع أن الرسوم والزخارف على الأوانى الخزفية الايرانية أقدم من الصور التى نعرفها فى المخطوطات . ولا شك فى أن الصور المرسومة على بعض الأوانى من القرون الأولى بعد الاسلام تدل على ذوق فنى ودقة فى الصنعة ، وتعد وثائق ثمينة فى دراسة تطور التصوير الاسلامى بوجه عام . وحسبنا أن ندرس الصور المرسومة على الخزف المصنوع فى مدينة الرى لنستنبط شيئا كثيرا عن الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر وعما كان يستخدمه القوم من أثاث وما يلبسونه من منسوجات .

(٢) استعمل الايرانيون الخزف فى صنع شتى الأوانى والتحف ، من أكواب وسلطانيات وأباريق وفناجين وبرنيات وقوارير ومسارج وأقداح وكؤوس وصحون مختلفة الشكل والعمق ، وأزيار وعلب ومباخر وشماعد وبيوت للطيور ومساند للاقدام ، وغير ذلك من الأوانى والتحف ، فضلا عن التماثيل الصغيرة .

ميادين الفن الايرانى فى العصر نفسه ؛ لأن العمائر التى ترجع الى ما قبل القرن الخامس الهجرى تعدّ على أصابع اليد الواحدة ، والصور أو النقـوش التى صنعت قبل القرن السابع الهجرى نادرة جدّا ، وأقدم السجاجيد التى نعرفها ترجع الى القرن التاسع ، ولكن لدينا من التحف الخزفيـة ما يرجع الى القرن الثانى وما بعده .

على أن أعظم ما وفق اليـه الخزفيون الايرانيون فى الاسـلام هو إتقان أنواع الطلاء المختلفة ثم إبداع الألوان الفاخرة وتنويعها . وامتازت بعض المراكز الفنية و بعض البلاد بايثار بعض الألوان على غيرها .

واستخدم هؤلاء الخزفيون شتى الوسائل فى زخرفة منتجاتهـم ؛ فكانوا يضغطون باليـد على العجينة اللينـة لتهيئة حافتها أو تكوين بعض العناصر الزخرفية فيها ؛ وكانوا يحفرون الرسوم بطرق مختلفة وفى عمق متنوع ، و يشكلون الزخارف البارزة تشكيلا دقيقا و جميلا ، كما كانوا فى بعض الأحيان يخرمون جدران الأوانى و يغطون الخروم بالطلاء فتبدو شفافة . وذلك كله فضـلا عن تزيين التحف بالرسوم ذات اللون الواحد أو المتعـدّدة الألوان ، فوق الطلاء أو تحته . وكان التذهيب والبريق المعدنى يكسبان التحف نضارة عجيبة .

ومن الموضوعات الزخرفية التى استخدمها الايرانيون فى الخزف الرسوم الهندسية ولا سيما المناطق والدوائر والعقـود المتشابكة ، والطيـور المتقابلة أو المتدابرة ، والحيوانات التى تحيط بها الفروع النباتية والوريقات والزهور ، فضلا عن الرسوم الآدمية[1] ؛ ولعل معظمها يمثل مناظر البلاط وحفلات الطرب

(١) وأكبر الظن أن التحف الخزفية النفيسة ذات الزخارف الآدمية والحيوانية والكتابية البديعة لم تكن من صـناعة الخزفيين فحسب بل كان يشترك معهـم فى إتمامها فنانون إخصائيون فى النقش وفى الحفر وفى كتابة الخط الجميل وفى دهن التحفة بالطلاء المطلوب .

فيه، أو مناظر القصص المختلفة فى الشاهنامه أو بعض مناظر الحياة الاجتماعية، كرسم الدراويش الراقصين، على السلطانية المحفوظة فى متحف اللوفر[(١)].

## دراسة الخزف الايرانى

لا تزال دراسة الخزف الاسـلامى فى إيران أمرا عسيرا. حقا ان لدينا بعض القطع المؤرخة[(٢)] أو التى عليهـا امضاء صانعيهـا[(٣)]، واننا نعرف مخطوطا فى استانبول يبحث جزء منـه فى صـناعة الخزف وقـد ألفه عالم من قاشان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠١ م)[(٤)]؛ فضلا عن أننا نستطيع أن نستنبط بعض البيانات من عجينة التحف ونوع طلائها وشكل قاعدتها ودقة صناعتها؛ ولكن هذا كله غير كاف للوصول الى نتائج حاسمة فى تقسيم التحف الخزفيـة الايرانية ومعرفة تاريخ صناعتها والمراكز الفنية التى تنسب اليها.

والواقع أننا لا نزال فى دراسة الخزف نعتمد على الحفائر اعتمادا كبيرا؛ فاننا نعرف أن وجود قطع خزفية أصابها التلف فى الفرن بسبب شـدة الحرارة أو عدم كفايتها، أو بسبب التصاق القطع بعضها ببعض أو بسبب آخر، كل هـذا يدل على أنها من صناعة المكان الذى يعثر عليها فيه؛ لأنه

---

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٢ لوحة ٥١٨

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٦٧ — ١٦٩٦

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٦٦

(٤) راجـع كتابنا «الفن الاسلامى فى مصر» ج ١ ص ١٠٥ — ١٠٦؛ وانظر H. Ritter, J. Ruska, F. Sarre & P. Winderlich : Orientalische Steinbücher, und Persische Fayencetechnik (Istanbuler Mitteilungen, herausgegeben von der Abteilung Istanbul des Archäologischen Institutes des Deutschen Reiches, Heft 3).

ليس معقولا أن يتجر القوم بمثل هذه القطع أو يجلبونها من مكان الى آخر؛ ولكننا لا نستطيع — لسوء الحظ — أن نذهب الى أن كل الحفائر التى قام بها المنقبون عن الآثار فى إيران كانت منظمة ويمكن الاطمئنان الى نتائجها . وفضلا عن ذلك فان كثيرا من المراكز الفنية لم تقم فيها أى هيئة بحفائر علمية بعـــد .

ومهما يكن من الأمر فان مؤرخى الفنون الاسلامية يسيرون فى تقسيم الخزف الايرانى على أساليب شتى؛ فبعضهم يقسمه بحسب عصوره؛ و يقسمه فريق آخر بحسب المراكز الصناعية التى يرجح نسبته اليها ؛ كما يقسمه فريق ثالث بحسب نوع صناعته وزخارفه . ولعل الأصلح اتبـاع التقسيم الأول ومعرفة التحف الخزفية التى تنسب الى القرون الأولى بعد الهجرة ، ثم تلك التى ترجع الى العصور الوسطى الاســلامية ، وأخيرا ما صنع منذ القرن التـاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) . وقد نستطيع بعد ذلك أن نصل فى كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة الى تحديد الاقليم الذى صنعت فيه التحفة والى تقسيم التحف مرة أخرى بحسب أسلوبها الصناعى . أما تحديد التاريخ فاننا نوفق اليه بوساطة دراسة الزخارف وتطورها ، والحكم على طراز الكتابة ، فضلا عن الاهتداء بالقطع المؤرخة التى نعرف منها حتى الآن زهاء مائتين ، يرجع أقدمها الى سنة ٥٦٢ هـ ( ١١٦٦ م ) .

## الخزف الايرانى فى فجر الاسلام

لسنا نعرف تماما كيف كانت صناعة الخزف وزخارفه فى القرن الأول ونصف القرن الثانى بعد الهجرة . ومن أقدم التحف التى وصلتنا فى هذا الميدان

ما عثرت عليـه البعثة الألمـانية فى حفائر المدائن[١] ( اكتيسيفون ) من خزف غير مدهون وآخر ذى طلاء أخضر، فضلا عن الخزف ذى البريق المعدنى؛ كما عثر فى إقليم خوزستان على مجموعه خزفية من أزيار كبيرة، بعضها ذو طلاء و بعضها لاطلاء له[٢]؛ اما الزخارف فمطبوعة، وساسانية الطراز، وقوامها فى أكثر الأحيان شريط من رسوم الحيوانات؛ ولكننا نعرف أن صناعة الخزف فى نهاية القرن الثانى وفى القرن الثالث بعد الهجرة بدأت فى الازدهار، متأثرة بالأساليب الفنيـة التى أخذها الشرق الأدنى عن الصين فى تلك الصناعة[٣]؛ ولا غرو فقد كانت بلاد الجزيرة تجلب الخزف الصينى منذ العصور القديمة؛ وقد عثر المنقبون عن الآثار فى المدائن ( اكتيسيفون ) وفى سامرا على كميات وافرة من هذا الخزف .

## خزف بلاد ما وراء النهر

كانت بلاد ما وراء النهر و بلاد التركستان إيرانية بحته الى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) ؛ بل كانت فى عصر الدولة السامانية من أزهر الأقاليم الاسلامية ، فكان بلاط هـذه الدولة فى سمرقند محط رحال العلمـاء والأدباء وموطن النهضة الايرانيـة الأولى . وذاع صيت بخـارى وسمرقند فى العالم الاسلامى كله .

---

(١) انظر E. Kühnel : Die Ausgrabungen der Zweiten Ktesiphon Expedition, Winter 1931-32, Berlin (Islamische Kunstabteilung der Staatlichen Museen, 1935). ص ٢٩

(٢) أبدعها زير فى مجموعة نجات ربى Nejat Rabbi ؛ انظر شكل ٧٤

(٣) أنظر كتابنا « كنوز الفاطميين » ص ١٦٥ — ١٧٢

ومن خير الأدلة على مدنية تلك البلاد فى القرون الأولى بعـد الاسلام ما أنتجته من تحف خزفيـة تمتاز ببساطتها واتزانها مع جمال ألوانهـا وإبداع زخارفها ذات المسحة الفنية الممتازة . ولا عجب فان صناعة الخزف فن قديم فى هـذا الاقليم . وأكبر الظن أن مركزها كان فى مدينـة شاش ( طشقند الحالية ) التى كتب المقدسى عن جودة ما كانت تصدره من خزف، ومدينة افراسياب التى عثر فيها المنقبون عن الآثار على كميات وافرة من الخزف محفوظة الآن فى متاحف سمرقنـد والهرميتاج وفكتوريا والبرت وفى برلين . ومعظم هذا الخزف ذو أرضية سوداء أو سمراء، وعليها زخارف يبـدو فيها التأليف الحسن ويظهر فيها لون أحمـر لا نكاد نراه فى سائر أنواع الخزف الايرانى . وقوام هذه الزخارف رسوم نباتية ومراوح نخيلية ( پالمت ) ورسـوم طيور كالبط والبجع ثم زخارف بالخط الكوفى الجميل ( أنظر شكل ٧٥ وشكل ٧٦ ) تمتاز كلها بدورانها حول مركز واحد ، مما يكسبها شيئا من الحركة والخفة .

## الخزف الأبيض ذو النقوش الزرقاء والخضراء

وهذا ضرب من الخزف عثر على كمية منـه فى أطلال سامرا ، فنسب فى بداية الأمر الى هذه المدينة؛ ولكن وجدت منه نماذج أخرى فى أطلال مدن إيرانية ولا سيما الرى وساوه وقم . والمرجح الآن أنه من صناعة إيران، وأنه انتشر منها الى سائر أنحاء الشرق الأدنى حتى لقـد وجدت بعض قطع منه فى أطلال الفسطاط[1] . وقد لوحظ فى بعض الأحيان اختلاف العجينة المصنوع منها ممـا يدل على أن إنتاجه لم يكن مقصورا على إقليم واحد، بل كان موزعا على مراكز فنية متعددة .

(١) فى معهد الفن بمدينة شيكاغو سلطانية يقال إنها وجدت فى الفسطاط .

وأكبر الظن أن هذا الخزف كان منتشرا بين القرنين الثالث والخامس بعد الهجرة ( التاسع والحادى عشر بعـد الميلاد ) كما يدل وجوده فى أطلال سامرا التى هجرت سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م)، وأسلوب الخط فى الكتابات التى توجد على بعض قطع منه، والتى يمكن نسبتها الى نهاية القرن الرابع الهجرى.

ومعظم منتجات هذا النوع من الخزف سلطانيات أو صحون غير عميقة وبها حافة منبسطة وقاعدة منخفضة جدا، ممـا يجعل وضـع السلطانيات أو الصحون فى بعضها وإعدادها للتجارة والأسفار أمرا ميسورا. أما الزخارف فبعضها هندسى، كالمثلثات والدوائر، والمثلثات المتداخلة والمتصلة على هيئة « خاتم سـليمان »، وبعضها نبـاتى كأوراق المراوح النخيليـة ( البالمت ) والوريدات، وبعض رسـوم أخرى كالنخلة المرسومة فى سلطانية جميـلة محفوظة الآن بالمتحف الأهلى فى طهران ( انظر شكل ٧٥ ). وقد نرى على بعض الأوانى من هذا الخزف كتابات تسير فى عرض الاناء من طرف الى آخر أو ترسم فى قاعدته على هيئة مربع. كما نرى أن عددا من الأوانى ليس عليه من الزخارف إلا أربع مناطق من « البقع » الخضراء والزرقاء. وعلى بعض القطع امضاءات مثل : « عمل الأحمر » و « عمل كثير بن عبد الله » و « عمل أبى خالد »؛ وكلها على قطع وجدت فى أطلال سامرا[1].

## الخزف ذو البريق المعدنى

ومما زاد الخزف الايرانى نضارة وجمالا ما وصل اليه المسلمون فى إكسابه بريقا معدنيا يختلف لونه بين الأحمر النحاسى والأصفر الضارب الى الخضرة

(١) انظر الفصل الذى كتبه الاستاذ هرتزفلد عن « الكتابات » فى مؤلف الأستاذ زره عن خزف سامراء Sarre: Die Keramik von Samarra ص ٨٢.

ويغنيهم عن الأوانى الذهبيـــة والفضية التى كان رجال الدين فى الاســـلام يكرهونها لمـــا تدل عليه من ترف وإسراف[1]. وقـــد عثر المنقبون على نمـــاذج من الخزف ذى البريق المعدنى فى إيران والعراق ومصر وافريقية والأندلس؛ واختلفوا فى موطن صناعتها، فنسبها بعضهم الى إيران، ونسبها آخرون الى مصر، ونسبها الألمـــان من رجال الآثار الاسلامية الى العراق. ويميل كثيرون من الاخصائيين فى الوقت الحاضر الى الأخذ بهذا الرأى الأخير[2].

والحق أن هـــذه الصناعة وجدت فى إيران والعـــراق ومصر، فى فجـــر الاســـلام؛ وأننا لا نملك من الأدلة ما يجعلنا ننسب ابتداعها الى قطر من هـــذه الأقطار الاسلامية؛ ولكن وجودها فى إيران منذ العصور الاسلامية الأولى ثابت بأدلة قوية، فقد عثر فى أطلال بعض المدن الايرانية على قطع خزفية ذات بريق معدنى وعليهـــا امضاء صانعيها؛ وتدل أسماؤهم التى تغلب عليها المسحة الايرانية على أنهم من إيران نفسها مما يحمل على ترجيح كون هذه

(١) انظر البخارى؛ وانظر أيضا صحيح مســـلم، باب تحريم استعمال أوانى الذهب والفضة فى الشرب وغيره على الرجال والنساء؛ فان القوم يروون عن النبى عليه السلام أنه قال: «من شرب فى إناء من ذهب أو فضة فانمـــا يجرجر فى بطنه نارا من جهنم»، وأنه نهاهم عن الشرب فى أوانى الفضـــة؛ «فان من شرب فيها فى الدنيا لم يشرب فيها فى الآخرة». وقال النووى إن الاجماع منعقد على تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة فى الأكل والشرب والطهارة ... الخ: ويروون عن النبى (صلعم) أنه قال «لاتشربوا فى إناء الذهب والفضة ولا تلبسوا الديباج والحرير فانه لهم فى الدنيـــا وهو لكم فى الآخرة يوم القيامة». على أن هـــذا التحريم لم يمنع تماما صناعة الأوانى من الذهب والفضة فى الأقاليم الاسلامية المختلفة.

(٢) راجع كتابنا «كنوز الفاطميين» ص ١٤٨ وما بعدها؛ وكتابنا «الفن الاســـلامى فى مصر» ج ١ ص ١٠١ وما بعدها.

القطع الخزفيـة مصنوعة فى إيران وليست واردة من الخارج . وفضلا عن ذلك فقد وجد فى أطلال مدينة ساوه قطعتان تالفتان فى الفرن، كما وجدت البعثة الفرنسية فى مدينـة السوس قطعا أخرى تالفة وأطلال فرن خزفى وحوامل من التى توضع عليها الأوانى لاحراقها فى الفرن ، بل إن بعض هذه الحوامل عليه آثار المـادة المكونة للبريق المعـدنى . ويجدر بنا ألا نغفل هنا ما كتبه المؤرخون والجغرافيون المسلمون عن شهرة بعض البلاد الايرانية فى إنتاج الخزف اللامع المذهب .

وأصحاب النظرية القائلة بنسبة ابتداع البريق المعـدنى الى الايرانيين يحتجون بأن إيران كانت فى القرنين الثانى والثالث بعـد الهجرة قد قطعت شوطا بعيدا فى سبيل الحضارة الاسلامية وكانت لها صناعة خزفية زاهرة ، وبأن ما وجد فيها من الخزف ذى البريق المعدنى أكثر مما وجد فى العراق، فضـلا عن أنه وجد فى مراكز فنية مختلفة ومتباعدة ، بينما لم يوجد بالعراق إلا فى سامرا . ثم إن أبدع أنواع الخـزف ذى البريق المعـدنى عثر عليها بايران ، فى مدينتى الرى وساوه . والحق أن الأدلة التى يسوقها القوم لنسبة الفضل فى ابتداع البريق المعدنى حجج معقولة الى حد كبير .

ومهما يكن من الأمر فان البريق المعدنى الذى نعرفه فى الخزف الاسلامى ذهبى اللون فى درجات مختلفة . وتنقسم النقوش ذات البريق المعدنى الى أقسام ثلاثة : الأول نقوش ذهبية اللون على أرضـية بيضاء؛ والثـانى نقوش حمراء أو قرمزية على أرضية تكون فى أغلب الأحيـان بيضاء أيضا؛ والثالث نقوش متعددة الألوان، صفراء وسمراء وزيتونية على أرضية بيضاء. ويتطلب إنتاج الأوانى ذات البريق المعدنى إحراقها إحراقا أوليا بعد تمـام

عملية التجفيف، ثم طلاءها بالدهان أو المينا، وهى المـادة الزجاجية التى تطلى بها الأوانى الخزفية المحروقة إحراقا أوليا؛ ثم ترسم النقوش فوق الدهان بطبقة دقيقة من الأملاح المعـدنية، وتحرق بعد ذلك فى فرن خاص إحراقا نهائيا فى درجة حرارة منخفضة(١).

ولا يجب أن ننسى أن الخزف ذا البريق المعدنى هو أقدم أنواع الخزف الاسلامى التى نرى عليها نقوشا آدمية. وبعض هذه النقوش يدل على براعة نسبية فى الرسم وعناية بالخطوط التى تكسب الصورة مسحة خاصة وذاتية قوية(٢). وحسبنا الصحن الموجود فى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم فى القاهرة (أنظر شكل ٧٩)، و بريقه المعـدنى ذهبى اللون على أرضـية بيضاء منقطة و يتوسطها رسم شخص يعزف على القيثار، وله قلنسوة مدببة وشارب رفيع. وفى نفس المجموعة صحن آخر عليه رسم سيدة.

ومن أبدع التحف الخزفية من هذا النوع كأس فى مجموعة الفونس كان Alphonse Kann، عليها رسم رجل ذى قبعة مدببة ومنتهية بزخرفة تشبه ذيل السمكة وفى يده راية كبيرة وخلفه رسم طاووس(٣).

---

(١) أنظر R. L. Hobson : A. Guide to the Islamic Pottery of the Near East (British Museum) ص ٣، حاشية ٢

(٢) أنظـر أيضـا A Survey of Persian Art ج ٥ لوحـة ٥٩٧ أ؛ Ch. Vignier: Catalogue de l'Exposition d'art Oriental (Paris 1925) R. Koechlin und G. Migeon: Islamische Kunstwerke رقم ٧٢٩ ولوحة ١٨ لوحة ١؛ Pézard : La Céramique archaïque de l'Islam لوحة ١١٧

(٣) انظر شكل ٨٠

ويدل رسم الصور الآدمية فى التحف التى نعرفها من هذا الخزف ذى البريق المعدنى على أن الفنانين لم يصلوا بعـد الى حد الاتقان فى هـذا الميـدان ، على عكس ما أدركوه فى الرسوم الزخرفيـة عامة وفى بعض رسوم الحيوان والطيور ؛ بل الحـق أن معظم رسومهم الآدميـة ذات تعبير قوى ولكنها بسيطة وتشبه رسوم الأطفال . ومن أبدع النماذج ذات الزخارف المستمدّة من عالم الطير كأس فى مجمـوعة برانجوين Rrangwyn بمتحف فتزويليـام Fitzwilliam فى مدينـة كمبردج ؛ فان على هـذه الكأس رسم طاووس جميل ، يدل باتقانه ، وبمناسبته أرضية الكأس ، وبروحه الزخرفية البديعة على توفيق الفنان الذى رسمه توفيقا لا حدّ له ( أنظر شكل ٧٧ ) .

ويمكننا أن ننسب هـذا الخزف ذا البريق المعدنى الى القرنين الثـالث والرابع بعد الهجرة (التاسع والعاشر بعد الميلاد) . على أننا لا نستطيع أن ننسب أى قطعة معينة الى فترة محدودة فى هذين القرنين ، اللهم الا اذا راعينا إتقان الرسم وموافقته لسطح الاناء ، وإبداع الألوان ، وما الى ذلك من دقة الصناعة والزخرفة ممـا يحمل على نسبة التحفة الى فترة متأخرة ، كما فيها تطوّر الصناعة واستقرت أصولها وقواعدها (١) .

وثمة مجموعة من لوحات القاشانى ذى البريق المعدنى ، صنعت بمدينـة قاشان فى بداية القـرن السادس الهجرى ( الثـانى عشر الميلادى ) وتشـبه فى رسومها الأوانى الخزفية التى تحدّثنا عنها فى السطور السابقة ، حتى ليمكننا أن نتساءل عما اذا كانت صناعة القاشانى ذى البريق المعدنى فى قاشان ليست وليدة الصناعة التى ازدهرت فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة .

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٥ ، لوحات ٥٧٥ — ٥٧٩

## تقليد الخزف الصينى

قلد الخزفيون المسلمون فى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) بعض أنواع الخزف الوارد من الشرق الأقصى . وعلى رأس هـذه الأنواع طراز امتاز بدهانات متعددة الألوان كانت تغطى سطح الاناء على النحو المعروف فى ضرب مشهور من الخزف كان يصنع فى الصين فى عهـد أسرة « تنج »[1] (٦١٨ — ٩٠٦م)؛ وقد أتقن المسلمون تقليد هذا الخزف حتى لقد يصعب فى بعض الأحيان أن نميز لأول وهلة القطعة الصينية الأصيلة من تقليدها المصنوع على يد الخزفيين المسلمين . وقد عثر المنقبون عن الآثار على قطع من هـذا النوع فى الرى والسوس واصطخر وساوه وفى بعض البـلاد باقليمى مازندران وتركستان .

والألوان المستعملة فى هـذا الخزف كثيرة وجميلة ؛ ويسـودها الأسمر والأصفر والأخضر. وقد ترى بعض زخارف من دوائر ورسوم نباتية محفورة تحت الدهان ؛ ولكنها لا تظهر بوضوح ، لأن أول ما يلفت النظر فى هـذا الخزف هو ألوانه المختلطة البديعة . وأكبر الظن أنه يرجع الى القرنين الثانى والثالث وفى بعض الأحيان الى القرن الرابع بعد الهجرة .

ومن أنواع الخزف الصينى الأخرى التى قلدها المسلمون الخزف الأبيض التـام ؛ فكانوا يصنعون منه الصحون والسلطانيات ذات الحافة المشطورة بأقواس متقابلة[2] . وقد وفق بعض الخزفيين فى إتقان هذا التقليد .

---

(١) المصدر السابق ج ٥ ، لوحات ٥٦٨ — ٥٧٠

(٢) المصدر نفسه ، لوحة ٥٨٩

وقصارى القول أن الايرانيين قلدوا بعض أنواع الخزف الصينى ؛ ثم تطورت منتجاتهم فى هذا الميدان فوصلوا الى أصناف مختلفة لامحل لشرحها هنا .

## الخزف ذو الزخارف المحفورة تحت الدهان

ومما صنعه الخزفيون الايرانيون فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة (التاسع والعاشر بعد الميلاد) نوع من الخزف يمتاز بزخارفه « المحزوزة » فى عجينة الاناء بأسلوب يذكر بالحفر فى المعادن . وأكبر الظن أن صناعته لم تنتشر الا بعد أن هجر الخليفة العباسى مدينة سامرا ورجع الى بغداد سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م)؛ لأن المنقبين عن الآثار لم يعثروا فى أطلال سامرا على قطع من هذا الخزف .

ومعظم زخارف هذا النوع دوائر وأجزاء من دوائر متشابكة ومتصلة ؛ وقد يكون فيها رسوم حيوانات أو طيور، فضلا عن الوريدات وأوراق الشجر . ولعل أشهر التحف الخزفية من هذا الطراز سلطانية فى القسم الاسلامى من متاحف الدولة ببرلين[١]، وسلطانية أخرى كانت سابقا فى مجموعة پوتييه Pottier[٢]، وسلطانية ثالثة كانت سابقا فى مجموعة ڤينييه Vignier وتمتاز بزخرفتها التى تمثل قرص الشمس فى الوسط و يحيط به رسوم أربعة معابد نار، حوّر اللهيب فوقها عن طبيعته فظهر على هيئة جزء من ورقة شجر[٣] .

(١) المصدر نفسه، لوحة ٥٨٣ أ .

(٢) المصدر نفسه، لوحة ٥٨٤ ب .

(٣) المصدر نفسه، لوحة ٥٨٥ ب .

وثمة قسم من هـذا النوع يرجح أنه من صناعة مدينـة آمل ويمتاز بأن زخارفه مرتبة فى مناطق مكونة من دوائر ذات مركز واحد. وأبدع النماذج المعروفة من هذا القسم سلطانية محفوظة فى المتحف البريطانى، تختلف فيها هذه المناطق مساحة وزخرفة[1].

وفى معهد الفن بشيكاغو إناء على هيأة قمع فوق قاعدة نصف كروية. ويمتاز بأنه مؤرخ وعليه امضاء صانعه « يحيى » ؛ ولكن التاريخ غير كامل، لأن رقم المئات غير موجود، فكل ما نستطيع قراءته هو ٨٣ ولكن المستنبط أن هـذا النوع من الخزف صنع بعـد القرن الثالث الهجرى وأنه لم يوجد مع خزف آخر من القـرن السادس ؛ ولذا فان الأرجح أن التـاريخ المقصود هـو ٣٨٣ هـ ( ٩٩٣ م ) ؛ وليس من المستحيل أن يكون ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م )[2].

وقد لاحظ بعض مؤرخى الفنون الاسلامية كثرة الموضوعات الزخرفية الساسانية على الخـزف ذى الزخارف المحفورة تحت الدهان، كما لاحظوا أن بينها رسم معبد النار، ورسم النسر الذى يحمـل الى السماء البطل الذى ينشـد الخلود[3]، فأرادوا نسبتها الى خزفيين من الزرادشتيين فى إقليم مازندران. ولكننا لا نظن أن استخدام مثل هذه الزخارف يستلزم أن يكون الصناع من عبدة

(١) أنظر R. Hobson: A Guide to the Islamic Pottery of the Near East ، شكل ٣٤

(٢) انظـر A Survey of Persian Art ج ٢ ص ١٥٠٨ وشـكل ٥٣٢ ؛ وج ٥، لوحة ٥٨٦ أ.

(٣) راجع شرح هذه الأسطورة فى المصدر السابق، ج ١ ص ٨٥٨

النار، فالحق أن الصانع قد يسير فى تزيين منتجاته على بعض أساليب زخرفية موروثة، بدون أن يعنى بتفسيرها أو بحث أصولها .

## الخزف فى عصر السلاجقة وعصر المغول

وصل الخزفيون الايرانيون الى قمة مجدهم الصناعى بين القرنين الخامس والثامن بعـد الهجرة ( الحادى عشر والرابع عشر بعـد الميلاد ) ، فنضجت منتجاتهـم وأتقنوا كل الأساليب الصناعية والزخرفيـة، فكانوا يستخدمون الزخارف المحفورة والبارزة والمخرمة والمجسمة، و يرسمون النقوش فوق الدهان أو تحته، ويحلونها بالتذهيب أو بالبريق المعدنى . واذا استثنينا الصينى فقد عرفوا فى ذلك العصر كل أنواع الخزف، وصنعوا منها شتى الأشكال المختلفة فى الحجم ، والمتنوعة فى الألوان البراقة الجميلة ، وحذقوا رسم الصـور الآدمية والحيوانية والنباتية واستخدموا فى رسمها مهرة المصوّرين والمذهبين ؛ وفتح لهم استخدام الخزف فى الزخارف المعمارية بابا جديدا، زادهم مثابرة ونشاطا . وتأثروا فى بعض الأحيان بالأساليب الفنية الصينية ؛ ولكنهم ظلوا مخلصين للروح الايرانية فى الصناعة والزخرفة . وقـد حاولوا تقليد الصينى الوارد من الشرق الأقصى ، غير أن الظاهر أنهم لم ينجحوا فى ذلك .

والمعروف أن غزو المغول قضى على أكبر مراكز الصناعة الخزفية فى إيران ، فدمرت مدينة الرى سـنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م ) ومدينة قاشان سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤م)؛ ولكن الراجح أن صناعة الخزف نفسها لم تتأثر بذلك الى حد كبير، اللهم الا فى كمية الانتاج . وخير دليل على ذلك أن بعض التحف الخزفيـة الجميلة عليها تواريخ تثبت أنها صنعت بعد الغزو المغولى بزمن غير طويل .

## خزف ذو زخارف محفورة

صنع الخزفيون الايرانيون فى نهـاية القرن الرابع وفى القرنين الخـامس والسـادس وبداية القرن السابع بعـد الهجرة أنواعا مختلفة من الخزف ذى الزخارف المحفورة . منها نوع أبيض ورفيع وغاية فى خفة الوزن ومحفور فيه زخارف دقيقة، أو محلى برسوم بارزة بروزا خفيفا، وتتكون من أوراق شجر محـوّرة عن الطبيعة أو من فروع نباتيـة ( أنظر شكل ٨٣ — ٨٥ ) . وقد نرى بينها كتابات كوفية[1] . وعمد الخزفيون فى بعض الأحيان الى زخرفة الاناء بخروم فى بدنه تسـد بوساطة الدهان ؛ وينفذ الضوء منها فيزيد سائر الزخرفة ظهورا ويكسب التحفة رقة عجيبـة . وأبدع القطع من هذا النوع محفوظة فى المتحف البريطانى وفى متحف فكتوريا والبرت بلندن . وأكبر الظن أن معظمها من صناعة قاشان حوالى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) . ومن المحتمل أن بعض هذا الخزف كان يصنع فى مدينة الرى وفى اصفهان وقم

ومن الخزف ذى الزخارف المحفورة نوع آخر أزرق أو أخضر ؛ ويمتاز أيضا برفعه وخفة وزنه وزخارفه المحفورة حفرا متقنا، ولا سيما فى رسـوم الحيوان والطير . ومن أجمل التحف المعروفة من هذا النوع صحن فى مجموعة يومورفوبولوس Eumorfopoulos . ومعظمها ينسب أيضا الى قاشان فى القرن الخامس الهجرى .

على أن أبدع أنواع الخزف ذى الزخارف المحفورة ما امتاز بتعدد ألوانه وسيادة العنصر التصويرى فيه. أما الألوان التى شاع استعمالها فى هذا الضرب

(١) المصدر السابق ج ٥، لوحة ٥٩٢ ب .

من الخزف فهى الأزرق بدرجاته المختلفة ، والأخضر المـائل الى الزرقة ، والأخضر الفاتح ، والأحمر الأرجوانى ، والأصفر الفاتح ، فضـلا عن لون الباذنجان بين السـواد والحمرة . ومعظم التحف الباقية من هذا النوع صحون واسـعة . على أن مجموعة باريش وطسون Parish Watson فيها إناء من نوع الالبارلو[1] albarello ، وفى مجموعة السر ارنست ديبنهـام Debenham كأس ؛ وفى المتحف البريطانى وعاء غريب الشكل[2] ، يظن أنه وعاء للحلوى. أما زخارف هـذا النوع فطيـور كالطاووس والغزال والأوز والصـقر ، أو كائنات خرافيـة كأبى الهول والطائر الذى له وجه سيدة . وتظهر الزخرفة على أرضية صفراء فاتحة أو بيضاء ، وتزينها رسوم فروع نباتية .

وأجمل التحف المعروفة من هذا النوع صحن فى مجموعة يومور فو پولوس Eumorfopoulos عليـه رسم شخص فى ملابس فضفاضـة يرقص بين موسيقيين فوق دكة يحملها كلبان أو ضبعان[3] . وفى القسم الأسلامى من متاحف الدولة ببرلين صحن مشهور عليه رسم ديك فى وضع زخرفى وعليه طابع العظمة والقوة ( أنظر شكل ٨٨) . وفى متحف كليفلاند صحن آخر ، كان فى مجموعة أيفريت ماسى Everit Macy وفيه رسم باز أنقض على ديك رومى ( أنظر شكل ٨٧) . وفى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم صحن جميل عليه رسم طائر له وجه سيدة . كما أن المتحف المترو پوليتان بنيو يورك فيه بعض صحون من

(١) إناء اسطوانى الشكل . ويظن أن اسمه فى اللغات الأوربية مشتق من اللفظ العربى «البرنية» ومعناه الوعاء لحفظ الأدوية . أنظر تراث الاسلام ج ٢ شكل ١٤ و ١٥

(٢) أنظر A Survey of Persian Art ج ٢ ، شكل ٥٣٥ ب .

(٣) المصدر السابق ، ج ٥ ، لوحة ١٠٣ .

هـذا النوع . وعلى كل حال فان هذا الخزف ينسب أيضا الى الرى وقاشان فى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) .

وثمـة نوع رابع من الخزف ذى الزخارف المحفورة ، نرى الرسـوم فيه محفورة حفرا دقيقا تحت الدهان ، ويستعمل فيه اللون الأصفر والأسمر والذهبى والأخضر ولون الباذنجان ، ولكنا نجد الألوان مفصولة بعضها عن بعض ، كما يبـدو ذلك فى المثلثات الصغيرة التى تزين حافة الاناء وتكوّن زخرفة كأسنان المنشار . ومعظم زخارف هـذا الخزف طيور تقوم على أرضية من الأغصان والفروع النباتية[1] . ومما يلفت النظر أن سلطانيتين من هـذا النوع عليهما اسم صانعهما « أبوطالب » ، و إحداهما فى متحف اللوفر والأخرى فى معهد الفن بمدينة شيكاغو .

## خزف جبرى

ومن أعظم أنواع الخزف الايرانى شأنا فى العصر الاسـلامى نوع قائم بذاته ، ويعرف باسم « جبرى » وهو اسم عبدة الشمس فى إيران . وقد نسبه تجار العاديات وغيرهم الى عبدة الشمس لأنهم ظنوه من صناعتهم قبـل أن ينتشر الدين الاسـلامى فى كل الأقاليم الايرانيـة . ولعل الذى دفع الى هذا الزعم ما نراه فى رسوم هذا الخزف من حيوان وطيور لا ينتظر أن يقدم المسلمون على استخدامها فضلا عن أن بعض الزخارف البارزة فى هذا الخزف تشـبه الزخارف التى استخدمت فى الأوانى الفضـية التى تنسب الى العصر السـاسانى .

---

(١) المصدر نفسه من لوحة ٦٠٧ الى ٦١١ .

كان هـذا الخزف ينسب إذن الى القرنين الأول والثانى بعـد الهجرة (السابع والثامن بعـد الميلاد)؛ ولكن حدث أن كشفت بعض قطع منـه ووجد عليها كتابات بحروف كوفيـة تجعل من الراجح نسبتها الى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة (العاشر أو الحادى عشر) . فمن المحتمل أن يكون خزف «جبرى» من منتجات إيران فى الأربعة القرون الأولى بعد الفتح الاسلامى.

وعلى كل حال فان الزخارف فى هذا الضرب من الخزف تكون فى الغالب من كتابات كوفية ومن رسوم طيور أو حيوانات حقيقية أو خرافية، ولا سيما الأسد والثور والجمـل وأبو الهول والغريفون والبـاز والطاووس والنسر؛ ولكنها محفورة حفرا عميقا فى الطبقة البيضاء الرقيقة التى تكسو السطح بحيث يصل هـذا الحفر الى العجينة الحمـراء المصنوع منها الاناء . وتعلو العجينة والطبقة البيضاء التى تغطيها مادة زجاجية شفافة ذات لون أصفر أو أخضر أو أسمر قاتم .

ولعل أكثر مايلفت النظر فى هذا النوع من الخزف مظهر الحياة والقوة التى تبدو على رسومه الزخرفية . وفى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم بالقاهرة نماذج طيبة جدا، تمثل أكثر الأصناف المعروفة منه، والتى يطلق على كل منها اسم المدينـة الايرانية التى يظن أنه عثر عليـه فيها مضافا الى اسم « جبرى » الذى يطلق على تلك الأصناف مجتمعة .

وصفوة القول أن هذا الخزف شـعبى الى حد كبير وصناعته تذكر بالأساليب الفنيـة الساسانية، وتختلف عن الخزف الذى كان يصنع للبلاط وكبار رجال الدولة . وطبيعى أن الفن الشعبى يكون أكثر تمسكا بالأساليب الفنية الموروثة من فنون البلاط .

وقد عثر على معظم هذا الخزف فى إقليمى كردستان وما زندران ، فلفت النظر منـذ البداية بقوة رسـومه و باتقان توزيعها فى قاع الاناء وجوانبه ، و بابداع لونه ولا سيما الأخضر منه .

ومن أثمن التحف المعروفة من هـذا الخزف سلطانية فى مجمـوعة جنتر F. H. Gunther عليهـا رسم نسر عظيم ( أنظر شكل ٩٠ ) ، وسلطانيـة أخرى فى مجموعة واربرج Warburg عليهـا رسم دقيق و جميـل النسب لنسر فوق أرضية من وريقات نباتية[١] ، وسلطانية فى معهد الفن بمدينة شيكاغو عليهـا زخرفة من كتابة بالخط الكوفى فوق أرضـية من الأغصان والفروع النباتية[٢] . والظاهر أن بعض هذه الكتابات كان يشمل امضاء الصانع ، كما نرى فى قنينة بمجموعة أوسكار رفائيل Oscar Raphael ، عليهـا اسم محمود ابن ابراهيم بن عبـد الوهاب[٣] ، وفى سلطانية بمجموعة المستر پوپ Pope عليها اسم بدر مكررا ثلاث مرات[٣] .

وفى دار الآثار العربية بالقـاهرة بعض الأوانى النفيسـة من خزف «جبرى» ، أعظمها شأنا كأس كانت فى مجموعة پوتييه Pottier وعليها رسم جمل باللون الأصفر الفاتح فوق أرضية سمراء[٤] .

## خزف ما زندران

امتـاز إقليم مازندران بانتاج ضروب معينة من الخزف ، أشهرها ثلاثة تنسب الى ثلاث مدن : هى سارى وآمل وأشرف .

(١) أنظر A Survey of Persian Art ، ج ٥ ، لوحة ٥١٤

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٦١٩ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٥٣٥

(٤) A. Kuchlin und G Migeon: Islamische Kunstwerke لوحة ١١

فالنوع المنسوب الى سارى يرجعونه الى نهـاية القرن الرابع والى القرن الخامس بعد الهجرة . ومعظمه سلطانيات عليها زخارف تحت الدهان من رسوم متعددة الألوان ، تمثل طيورا خرافية على أرضية بيضاء . وبين الأمثلة المعروفة من هذا النوع سلطانية فى مجموعة لويزون[1] Lewisohn ، وأخرى فى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم ؛ والأخيرة عليها رسم تخطيطى لطائر ، باللون الأسمر فوق أرضية صفراء فاتحة ، وتحته ثلاثة خطوط مزدوجة ينتهى كل منها بدائرة تحدّها منطقة لونهـا بنى غامق ، وفى الدائرة منطقتان : سمراء و بيضاء ثم خضراء وسوداء ( أنظر شكل ٨٨ ) .

أما آمل فينسب اليها خزف أبيض عليه زخارف محفورة وفيه خطوط ونقط باللون الأخضر أو بلون الباذنجان . و إذا استثنينا إناءً مكسورا وأصله على هيئة الالباريلو[2] ، فان المعروف من هذا الخزف صحون كبيرة وثقيلة الوزن ، ذات عجينة ضاربة إلى الحمرة وعليها غشاء لونه أبيض أو أصفر فاتح . ومن الزخارف التى نراها عليـه رسوم الأوز والبط والسمك والسـباع والغزلان والطواويس . و بعض هـذه الزخارف مرتب بأسلوب يذكر بالمنسوجات والتحف المعدنية الساسانية .

وفى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم سلطانية من هـذا الخزف ، قوام زخارفها مناطق دائرية متحدة المركز ، وفى وسطها رسم طائر . وقد كانت هذه التحفة النفيسة فى مجموعة پوتييه[3] Pottier .

(١) أنظر A Survey of Persian Art ج ٥ ، لوحة ٦٢١

(٢) هذا الإناء محفوظ فى معهد الفن فى شيكاغو ( انظر المصدر السابق لوحة ٦٢٥ ب) ؛ ووجوده فى إيران حوالى القرن السادس الهجرى ينفى نسبة اختراع شكل الالباريلو الى سورية ؛ لأن أقدم الالباريلو السورية ترجع الى القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى )

(٣) انظر A Survey of Persian Art ج ٥ ، لوحة ٦٢٩ أ

وينسب تجار الآثار الإيرانية إلى مدينة أشرف نوعا غير جيد من الخزف، يمت ببعض الصلة إلى الخزف المصنوع فى آمل ؛ ولكنه أثقل منـه وزنا وسمكا ؛ ودهانه أصفر، عليه رسوم بسيطة باللون الأخضر، يغلب أن تكون فى حافة الإناء ، بينما نرى فى وسـطه جامات محفورة تحت الدهان حفـرا عميقا . وأكبر الظن أن هذا الخزف المصنوع فى آمل وفى أشرف يرجع إلى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة ( الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد ) .

## خزف مدينة الرى

كانت مدينة الرى منـذ القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) من أعظم بلاد العالم الإسلامى ، فكتب عنها ابن حوقل أنها أجمل مدن الشرق بعد بغداد . وكتب ياقوت الحموى : " فأما الرى المشهورة فانى رأيتها وهى مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم الملمع بالزرقة مدهون كما تدهن الغضائر ... ... وكانت مدينـة عظيمة خرب أكثرها واتفـق أننى اجتزت فى خرابها فى سنة ٦١٧ وأنا منهزم من التتر فرأيت حيطان خرابها قائما ومنابرها باقية وتزاويق الحيطان فى حالها لقرب عهدها بالخراب إلا أنها خاوية على عروشها "ثم نقل ياقوت ما كتبه الاصطخرى فى كتاب الممـالك والمسالك ، حيث قال : " وهى مدينـة إذا جاوزت العراق إلى المشرق فليس مدينـة أعمر ولا أكبر ولا أيسر أهلا منها إلى آخر الإسلام إلا نيسابور فانها فى العرضة أوسع فاما اشتباك الأبنية والعمارة واليسار فان الرى تفضلها "[٢] .

---

(١) معجم البلدان ( طبع أوربا )، ج ٢ ص ٨٩٣

(٢) انظر كتاب المسالك والممالك للاصطخرى ( طبع ليدن ) ص ٢٠٧

وقد أيّدت الحفائر فى أنقاض هذه المدينة ما كتب عن فخامة بيوتها ، وازدهار الصناعات الفنية فيهـا ، ولا سيما الخـزف والمنسوجات والتحف المعدنية . وأكبر الظن أن الرى كان لها فى ذلك العصر ما نراه الآن فى بعض المـدن الكبيرة من تركز المصانع فى الضواحى . ولعل وجود المصانع الكبيرة فى الضواحى والقرى التابعـة للرى هو الذى أنقذها إلى حدّ ما من الخراب الذى جرّه غزو المغول على كثير من المدن الكبرى فى الشرق الأدنى .

والمعروف أن سلاطين السلاجقة كانوا من أعظم رعاة الفن فى التاريخ الإيرانى . وقد كان طغرل الثانى ، آخر الذين حكموا منهم فى إيران ، شديد العناية بالفن والفنانين ؛ فبلغت فى عصره ( ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ : ١١٧٧ — ١١٩٤ م ) الصناعات الفنية فى مدينة الرى أوج عظمتها . وكان على رأس هذه الصناعات ، بل أعظمها على الإطلاق ، صناعة الخزف .

وقد عقد البيرونى فى كتابه "الجماهر فى معرفة الجواهر" فصلا فى ذكر القصاع الصينية كتب فيه :

" وكان لى بالرى صـديق من الباعة إصبهانى أضافنى فى داره فرأيت جميـع ما فيها من القصاع والاسكرجات والنوفلات والأطباق والأكواز والمشارب حتى الأباريق والطسوس والمحارض والمنـارات والمسارج وسائر الأدوات كلها من خزف صينى فتعجبت من همته فى ذلك فى التجمل[1] " .

ولكن وفاة طغرل الثـانى وغارة أمراء خوارزم شاه وما ترتب على ذلك من الاضطراب جرّ على مدينة الرى خسارة كبيرة ، قبل أن يضربها المغـول

(١) راجع كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى ( الطبعـة الأولى فى حيـدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ ) ص ٢٢٧

الضربة العظمى سنة ٦٢١ هـ ( ١٢٢٤ م ) . على أن موقعها فى ملتقى الطرق الرئيسية فى إيران أتاح لها أن تقوم ثانية ، وأن تستعيد قسطا وافرا من مكانتها الأولى فى التجارة والصناعة (١) .

ومهما يكن من الأمر فان مدينة الرى كانت من أعظم مراكز الصناعة الخزفية فى إيران ، إن لم تكن أعظمها على الاطلاق . ولا غرو أن نسب اليها مؤرخو الفنون أصنافا عديدة من الخزف .

فثمة تحف خزفية عثروا على نماذج قليلة منها فى الرى وفى بلاد الجزيرة . وهذه التحف ، فى أكثر الأحيان ، أطباق غير عميقة ولها حافة منبسطة ؛ أما طلاؤها فأبيض اللون كالقشدة وعليه طبقة من المينا . وأهم الزخارف التى استخدمت فى هذا النوع رسم البراق ، فضلا عن الطيور والبط والأوز . ولعل أبدع القطع المعروفة من هذا الخزف طبق فى القسم الاسلامى من متاحف برلين وعليه رسم نسر أوديك كبير ، ثم طبق آخر فى مجموعة يومور فوبولوس بلندن وعليه رسم منظر رقص وموسيقى فوق مرسح يسنده حيوانان ضاريان . أما أهم الألوان المستخدمة فى هذه المجموعة المنسوبة الى القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ( الحادى عشر والثانى عشر بعد الميلاد ) فهى الأزرق والأخضر والأرجوانى .

وقد كان لمدينة الرى المكانة الأولى فى استخدام الخزف ذى البريق المعدنى ، فى شتى أنواع المنتجات الخزفية كالأوانى والمحاريب والمقاعد والموائد والتماثيل الآدمية والحيوانية . واختلفت الزخرفة بالبريق المعدنى فى هذا العصر عما عرفناه عنها فى العصر السابق ؛ فأصبحت الأرضية هى التى

---

(١) انظر Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate ص ٢١٤ وما بعدها .

تغطى بالبريق المعدنى ، بينما نرى رسـوم الأشخاص بيضاء محجوزة فى تلك الأرضية . وقـد كان الشائع فى العصر السابق أن صور الأشخاص هى التى تغطى بالبريق المعدنى دون سائر الأرضية .

وقـد استعمل الخزفيون فى الرى عددا وافـرا من الزخارف الهندسـية والنباتية ، ورسموا معظم الحيوانات التى عرفوها فى ذلك الوقت ، ولا سيما الأرنب وكلب الصيد، كما اتخذوا بعض الزخارف من مناظر الرقص والطرب والموسيقى والصيد، ولعب الصوالجة (البولو)، والحفلات الرسمية؛ بل لقد رسم أحدهم صورة طبيب يفصد سـيدة أنيقة ، وذلك فى قاع سلطانيـة محفوظة فى القسم الاسلامى من متاحف برلين[(١)] .

وتمتاز التحف الخزفية البديعة ذوات البريق المعـدنى من صناعة الرى بوضوح رسمها وصفائه وبابداع تأليف زخارفها ، كما يتجلى مثلا فى الصحن المحفوظ فى مجموعة برانجوين بمتحف فكتوريا وألبرت، وهو يرجع الى القرن الخامس أو السادس بعد الهجرة (الحادى عشر أو الثانى عشر بعد الميلاد)، وقوام زخرفته رسم فارس جليل المنظر فوق حصان من الجياد الكريمة (انظر شكل ٨٦) .

ويظهر توفيق الفنان فى تصوير الحركة على إبريق فى معرض فرير Freer Gallery تتكون زخرفتـه من رسم ثعلب يطارد أرنبا (انظـر شكل ٩٩) . كما أن بعض الخزفيين كانوا يقلدون شكل الأوانى المعدنية . ومن أمثلة ذلك إبريق فى مجموعة بلزبرى A. Pillsbury يرجع الى نهـاية القرن السادس الهجرى (انظر شكل ٩٣) .

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٣ شكل ٥٢١

وقـد اتخذت الفنون الايرانية اتجاها جديدا منـذ نهاية القرن السادس الهجرى ( الثـانى عشر الميلادى ) فصارت الدقـة والظرف والأناقة تغلب عليها شيئا فشيئا . ولا غرو فقد ازدهرت فنون الكتاب ، وظهر تأثير المذهّبين والمصورين على سائر الفنون ، كما نرى جليـا فى سلطانيـة بمعهد الفن فى شيكاغو[1] مؤرخة من محرم سـنة ٥٨٧ هـ ( ١١٩١ م )[2] ، وتمتاز عدا ذلك بمـا ذاع فى ذلك الوقت من الميل الى الزخرفـة باتخاذ الخطوط أو الدوائر لتقسم سطح الآنية الى مناطق تكسب الرسم شيئا من الأناقة والاتزان .

وكثر فى ذلك العصر اتخاذ الحروف الكوفية لتزيين حافة الآنية . وكان الفنانون يعنون فى بعض الأحيـان برسم تلك الحروف فيمكن قراءتها ، كما كانوا يرسمونها فى أحيان أخرى بطريقة تبعدها عن أصولها وتجعلها زخرفة شبه كتابية . واستعملوا كذلك الخط " المحقق "[3] فى الكتابة التى تدور حول حافة الاناء .

وكان الخزفيون فى مدينـة الرى يصنعون لوحات القاشانى ذى البريق المعدنى ، ولكن منتجاتهم فى هذا الميدان لم تصل الى حد كبير من الاتقان ؛ كما كان بعضهم ينقش بالبريق المعدنى البلاطات المصنوعة من الملاط ، على النحو الذى نراه فى قطعة محفوظة فى مجموعة كلكيان Kelekian ، رسم عليها

---

(١) انظر المصدر السابق ج ٥ لوحة ٦٣٨

(٢) أقدم القطع المؤرخة من الخزف ذى البريق المعدنى إبريق صغير فى المتحف البريطانى يرجع الى سـنة ٥٧٥ هـ ( ١١٧٩ م ) . انظر R. L. Hobson: A Guide to the Islamic Pottery of the Near East شكل ٢٥ أ .

(٣) الخط المحقق ضرب من الكتابة الفارسية ذات الحروف المقوّسة التى تتصل ببعضها . انظر Huart: Les Calligraphes et les Miniaturistes ص ٥٥

أربعـة أشخاص تحيط برؤوسهم هالات من النور ويركب أحدهم حمارا أو فرسا[١]، وقد يكون المقصود رسم السيد المسيح، عليه السلام، داخلا بيت المقدس. وربما كان الفنان الذى رسم هذا المنظر مسيحيا. ولكننا لا نوافق الدكتور توماس أرنولد فى قوله بأن كثيرين من الفنانين فى مدينة الرى كانوا من المسيحيين[٢]، لما نراه من إقبالهم على استعمال الصور الآدمية فى منتجاتهم؛ فقد مرّ بنا أن الفنانين المسلمين لم يتركوا تصوير المخلوقات الحية تركا تاما؛ فضلا عن أننا نرى مثل هذه الصور فى منتجات مدن إيرانية بعيدة كل البعد عن المراكز الدينية المسيحية فى الشرق الأدنى.

ولم تكن التحف الخزفيـة ذوات البريق المعدنى من صناعة الرى ذات لون واحد؛ بل استعملت فيهـا ألوان أخرى إلى جانب البريق المعـدنى، كما يظهر فى محراب خزفى صغير فى دار الآثار العربيـة بالقاهرة[٣]، مؤرخ من سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) ونرى فيه اللون الفيروزجى.

ولا ريب فى أن الخزفيين بمدينـة الرى كانوا مغرمين بالتجديد والتنويع فى منتجاتهم الفنيـة، وأنهم أصابوا حظا وافرا جدا من التوفيق فى زخارف بعض هذه المنتجات وأبداع ألوانها وجمال أشكالها؛ ولكنهم عمدوا منـذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) إلى زيادة الكميات التى كانوا ينتجونها، وإلى العمل للسوق العادى وأصحاب الذوق الفنى المتوسط، كما أقبلوا

---

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٢ شكل ٥٤٤

(٢) راجع Th. Arnold : Painting in Islam ص ٦٠

(٣) رقم ٩٧٧٣ فى سجلات الدار. انظر Wiet : L'Exposition persane de 1931 لوحة F

فى بعض الأحيان على تقليد الأنواع الجديدة التى كانت تصنع فى بعض المراكز القنيـــة الايرانية الأخرى . فكانت نتيجة ذلك أن انحطت أنواع الخـزف ذى البريق المعدنى فى مدينتهم .

ولكن ضربا جديدا من التحف الخزفية قدّر له أن يصبح فخرا لمدينـــة الرى فى تاريخ الفنون الاسلامية . ونقصد بذلك الخزف المصنوع من عجينة ملوّنة ومغطاة بطلاء قصديرى معتم ، ترسم فوقه الزخارف بالألوان المختلفة ، من أزرق وأســود وأخضر وأسمر وأحمر . ويتجلى فى هــذه الزخارف التأثر العظيم بفن التصوير فى المخطوطات من منتجات المدرسة السلجوقية[1] . وكان التذهيب فى بعض الأحيان يزيدها حسنا وبهاءً .

ومعظم التحف الخزفيـــة المصنوعة من هــذا النوع أكواب وأباريق وصحون غير عميقة وسلطانيات مستديرة الجسم أو ذات أضلاع . ومن الأوانى التى كثر استخدامها فى ذلك الوقت قنينـــة جسمها بيضى الشكل بين قاعدة صغيرة ورقبة دقيقة تنتهى باسطوانة سميكة قبل الفوهة (انظر شكل ١٠٥).

أما زخارف هــذه التحف فتكثر فيهــا رسوم أمراء وأميرات بين رجال الحاشية ونسائها ، أو رسوم صيد وقتال وطرب وفروسية . وقد أصاب الفنانون فى هــذه الزخارف حظا وافرا من التوفيق ، كما يظهر مثلا فى قنينـــة محفوظة

(١) الواقع أن الخزفيين كانوا قبل ذلك يقلدون فى أشكال منتجاتهم صناع التحف المعدنية ويتأثرون فى الزخرفة بالفنانين المشتغلين بالحفر فى الجص . أما فى هذا النوع الجديد من التحف الخزفية المصنوعة فى الرى فقد أصبح للصور الشأن الأول ، كما يظهر إذا وازنا بين هذه التحف وبين المخطوطات الإيرانية القليلة التى تنسب إلى إيران فى القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى ) .

فى مجموعة باريش وطسن Parish Watson (انظر شكل ١٠٥)، وفى إناء من مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم (انظر شكل ١٠٦)، وكأس فى متحف اللوفر بباريس[١]، وفى سلطانية من مجموعة دافيد David (انظر شكل١٠٢). وتمتـاز الأخيرة بأن قوام زخرفتها فروع نباتيـة يحف بها رسم طائرين ورسم حيوانين خرافيين لكل منهما جناحان ورأس سيدة .

وقد وصلت الينا أسماء ثلاثة فنانين من الذين عملوا فى إنتاج هـذا الخزف[٢] . وهم : على بن يوسف وقد جاء اسمه على سلطانية فى معرض فرير Freer Gallery ؛ والثـانى أبو طاهر حسين وقد جاء اسمه على سلطانية فى دار الآثار العربيـة[٣]، وعمله أقل جودة من عمل زميله على بن يوسف . أما الفنان الثالث فاسمه حسين، وقد جاء هذا الاسم على سلطانية فى مجموعة بارلو[٤] J. A. Barlow.

ومهما يكن من الأمر فان هذا الخزف ذا الزخارف المنقوشة فوق الدهان — والذى يعرف باسم مينايى — قد صنع بمدينة الرى فى النصف الثـانى من القرن السادس وفى القرن السابع الهجرى (فى النصف الثـانى من القرن

---

(١) أنظر كتابنا « فى الفنون الإسلامية » شكل ٨

(٢) أنظر مقال الأستاذ ايتنجهاوزن Ettinghausen فى مجلة Bulletin of the American Institute for Iranian Art and Archeology ج ٥ (سنة ١٩٣٧) ص ٣٠

(٣) راجع Wiet : L'Epigraphie arabe de l'exposition d'art persan du Caire فى منشورات المجمع المصرى Mémoires presentés à l'Institut d'Egypte السنة ٢٦ (١٩٣٥) ص ٦ لوحة ٣

(٤) أنظر المرجع السابق للأستاذ ايتنجهاوزن Ettinghausen ص ٣٢

الثانى عشر وفى القرن الثالث عشر بعد الميلاد ) . وقد عثر على أجمل القطع المعروفة منه فى أطلال تلك المدينة ؛ كما عثر فى أطلالها أيضا على التحفة الوحيدة المؤرخة من هذا الخزف . وهى السلطانية المحفوظة فى المتحف البريطانى ، والتى ترجع إلى سـنة ٦٤٠ هـ ( ١٢٤٢ م )[1] ، وقـد كانت سابقا فى مجموعة ڤرنون ويذرد Vernon Wetherd

## خزف مدينة قاشان

لا ريب فى أن قاشان تستحق فى تاريخ الخـزف الإيرانى مكانة تفوق ما ظنه مؤرخو الفنـون الإسلامية فى السنين الأخيرة . والواقع أن ما نعرفه عن هذه المدينة أقل بكثير ممـا نعرفه عن سائر المدن الإيرانيـة الكبيرة مثل تبريز وهراة والرى ؛ ولكن حسبنا ، لبيان ما كان لها من عظيم الشأن فى تاريخ الفنون الإيرانية ، أن كلمة "قاشانى" تستعمل للدلالة على بعض أنواع الخزف حتى اليوم ، بعـد أن كانت فى العصور الوسطى تطلق على الخزف المصنوع فى تلك المدينة ، كما يظهر من قول ياقوت فى معجم البلدان :

" قاشان مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ومنها تجلب الغضائر القاشانى والعامة تقول القاشى " .

وفضلا عن ذلك فقد ازدهر فيها فن تحسين الخط ، وصناعة التحف المعدنية . وقد عثر فى أطلال قاشان على كميات وافرة من شتى أنواع الخزف ؛ كما عثر فيها على بعض الأفران وعلى نحو ثلاثين قطعة تالفـة أثناء حرقها فى الفرن ، مما يدل على أنها صنعت فى قاشان ولم تصدر اليها من مراكز صناعية

---

(١) أنظر A Survey of Persian Art ج ٥ لوحة ٦٦٢ أ

أخرى . كما أن الجغرافيين والرحالة فى العصور الوسطى لاحظوا استعمال الخزف المصنوع بمدينة قاشان فى كثير من العمائر الجميلة فى شتى أنحاء العالم الاســـلامى .

وقد جاء كشف المخطوط الذى وجد فى استانبول مؤيدا لما نعلمه عن قاشان فى صناعة الخزف ؛ فان مؤلفه أبا القاسم عبد الله بن على بن محمد ابن أبى طاهر إخصائى فى هذه الصناعة ، كتبه فى قاشان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ، ووصف فيه بعض العمليات الفنية فى عمل الخزف ، وتحدث عن مصادر بعض المواد المستعملة فيه . ولا غرو فقد كان من أسرة ذاعت شهرة أفرادها فى هذا الميدان ؛ ولا تزال أسماء أخيه يوسف بن على بن محمد وأبيه على بن محمد وجده محمد بن أبى طاهر بن أبى حسن باقية على بعض الآثار الفنية الخزفية المعروفة[1] ( انظر شكل ٣٢ ) .

ومن الخزفيين الذين ذاعت شهرتهم فى قاشان أبو زيد وعلى ابنا محمد أبى زيد . وقد اشتغلا بصناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . وجاء اسم أبى زيد على أحد المحاريب فى حرم ضريح الامام رضا بمدينة مشهد[2] . وتاريخ هذا المحراب ٦١٢ هـ ( ١٢١٥ م ) . ومنهم كذلك الحسن بن عربشاه الذى جاء اسمه على محراب من القاشانى ذى البريق المعدنى والزخارف البارزة ، أصله من جامع الميدان فى قاشان ومؤرخ من سنة ٦٢٣ هـ ( ١٢٢٦ م ) ومحفوظ الآن فى القسم

---

(١) راجع المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٦٩ و ١٦٦٦

(٢) كما جاء اسم أخيه على بن محمد أبى زيد على بعض لوحات القاشانى فى نفس الضريح .

الاسلامى من متاحف الدولة فى برلين ( انظر شكل ٣١ ) . وجاء اسم هذا الفنان أيضا على بعض لوحات من محراب محفوظ الآن فى متحف فكتوريا وألبرت بلندن .

كما أننا نعرف خزفيين آخرين من قاشان مثل على الحسينى كاتبى، الذى نجد إمضاءه على محراب فى متحف الهرميتاج ، وحسين بن على بن أحمد وقد جاء اسمه على محراب فى المتحف المترو يوليتان بنيويورك[1]، وعبد الله بن محمود بن عبد الله، الذى نرى إمضاءه على لوحة من القاشانى مؤرخة من سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) وموجودة فى حرم ضريح الامام رضا بمدينة مشهد[2].

والحق أن تلك المحاريب التى تحدثنا عنها الأن تعد من أبدع الآثار الفنية التى أنتجها الخزفيون الايرانيون فى كل العصور . وإذا حكمنا بما نراه فى هذه النماذج المعروفة من دقة و إتقان و إبداع ألوان ، أدركنا أن صناعتها لم تكن مجهولة فى القرن السادس الهجرى ( الثانى عشر الميلادى )، وأنها ارتقت بعد ذلك حتى وصلت الى الأزدهار الذى عرفناه .

* * *

واستطاع الايرانيون إتقان صناعة النجوم والتربيعات من الخزف ذى البريق المعدنى لكسوة الجدران . ونمت هذه الصناعة نموا عظيما بين القرنين السادس والثانى عشر بعد الهجرة (الثانى عشر والثامن عشر بعد

(١) انظر Dimand : Handbook of Mohammedan decorative Art ص ١٤١ شكل ٧٥

(٢) راجع D. M. Donaldson : Significant Mihrabs in the Haram at Mashhad فى مجلة Ars Islamica ج ٢ ( ١٩٣٥ ) ص ١٢٤

الميلاد). وكانت تلك النجوم الخزفية آية فى دقة الصناعة و جمال اللون و إبداع الرسوم النباتية والحيوانية والآدمية التى تزينها . أما سائر الألواح الخزفية التى كانت تكسى بها الجدران فكانت زخارفها بارزة وتزينها الكتابة الكوفية والنسخية .

وقـد اشتهرت قاشان على الخصوص بصـناعة اللوحات ذات البريق المعدنى من مختلف الأحجام والأشكال، فمنها النجمية والصليبية الشكل وذات الأضلاع المتعددة . وكانت فى البداية ملساء ذات زخارف منقوشة فحسب؛ ولكن بعضها أصبح منذ نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ذا زخارف بارزة قليلا . ومهما يكن من الأمر فانا نجد على هذه اللوحات زخارف مختلفة ، بين رسوم آدمية وحيوانية ونباتية[1] ( انظر شكل ١١٩ ) . و يظهر فيها كلها التأثر بفن تصو ير المخطوطات .

وقد وصلتنا أسماء ثلاثة فنانين ممن اشـتغلوا بصناعة تربيعات القاشانى ذى البريق المعدنى : وهم أبو زيد أو أبو رفضـه وفخر الدين و جمال الدين . وأعظمهم شأنا هو أبو زيد أو أبو رفضه، وقد عمل فى بداية القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى ) ، كما يظهر من القطع المؤرخة التى عليها اسمه والتى نرى إحداها فى دار الآثار العربية بالقاهرة[2] . وثمـة قطع أخرى

(١) انظر Henry Wallis : The Thirteenth Century Lustred Wall-Tiles (The Godman Collection).

(٢) انظر ص ١٠٦ من الدليل الموجز لمعروضات دار الآثار العربية ، الذى كتبه الأستاذ فيت وترجماه الى العربية . وانظر ايضا اللوحة ٢٩ من ألبوم معرض الفن الفارسى الذى عقد فى القاهرة سـنة ١٩٣٥ ؛ وراجع مقال الأستاذ فيت فى منشـورات المجمع المصرى Mémoires presentés á l'Institut d'Egypte السنة ٢٦ (١٩٣٥) ص ٥ — ٦ ، حيث قرأ إمضاء الفنان « أبو زيد » ؛ ولكن الدكتور بهرامى قرأه « أبو رفضه » ، فى كتابه Recherches sur les carreaux de revêtement lustrés dans la céramique persane du XIIIe au XVe siècle

تشبه هذه القطع الممضاة، حتى لترجح نسبتها الى هذا الفنان أيضا. ومنها أقدم النجوم المعروفة على الاطلاق. وهى فى دار الآثار العربية أيضا، وتاريخها سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) وعليها رسم أربع سيدات فوق أرضية من الزخارف النباتيـــة[١].

ولما زاد تأثر الفنون الايرانية بالأساليب الفنية الصينية فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) استعمل صناع اللوحات الخزفية رسوم الحيوانات الخرافية الصينية كالتنين والعنقاء، كما يتجلى فى قطعتين جميلتين من مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم، معروضتين الآن فى دار الآثار العربية.

ولكن صناعة تلك التربيعات القاشانية بدأت فى الاضمحلال منذ نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، فساء نوع البريق المعدنى والزخارف النباتية التى كانت أرضية للرسم الرئيسى. ولعل ذلك ناشىء من الاقبال على صناعة الفسيفساء الخزفية التى كانت أقل نفقة وأكثر ملاءمة لتغطية المساحات الواسعة.

وأكبر الظن أن نشاط الخزفيين فى قاشان لم يكن وقفا على المحاريب والتربيعات القاشانية؛ بل لقد أنتجوا ضروبا طيبة جدا من الأوانى والتحف ذوات البريق المعدنى، استعملوا فيها معظم الرسوم التى عرفناها فى زخارف المحاريب والتربيعات، حتى ليمكننا فى بعض الأحيان أن ننسب بعض هذه التحف أو الأوانى الى الفنانين الذين جاءت أسماؤهم على بعض المحاريب والتربيعات.

---

(١) انظر Wiet: L'Exposition persane de 1931 لوحة ١٩

واعـل أبدع الأوانى المصنوعة فى قاشان سلطانيـة فى مجموعة هافمـاير Havemayer، مؤرخة من سـنة ٦٠٧هـ (١٢١٠م) وفيها رسم أمير جالس بين نساء من حاشيته[١] . ولا ريب فى أن صانع هـذه التحفة فنان من الطراز الأول، كما يتجلى فى اتزان الزخرفة وفى تمييزه سحنة الأمير تمييزا يكاد يجعل رسمه صورة شخصية .

وقد يكون هـذا الفنان نفسه أو أحد تلاميذه صـانع الصحن المشهور فى مجموعة يومورفو پولوس Eumorfopoulos (أنظر شكل ٩٧) . وقوام الزخرفة فى هـذه التحفة رسم خسرو يفجأ شـيرين تستحم، فنراها فى مجرى ماء، جلس أمامه خسرو مأخوذا بمنظر الغانيـة فى المـاء . وفى حافة الاناء كتابة بالخط النسخى قـد محى الزمن بعضها كما أعيدت كتابة بعض كلمات فيها، وقد قرأ الأستاذ ڤيت هذه الكتابة كما يأتى[٢] :

" (ا) لسعادة والسـلامة والكرامة والنعمة ..... الأمير اسفهسلار الكبير العالم العادل المؤيد المظفر المجاهد نصرة الاسـلام والمسلمين ..... الملوك والسلاطين سـيد الأ(مراء) (اسفه)سلار الكبير العالم العادل المؤيد المظفر المنصور ..... (ح) سام أمير المؤمنين أعز الله أنصـاره وضاعف اقتداره صنعه السـيد شمس الدين الحسينى فى شهر جمادى الآخر سـنة سبع وستمائة هـ (جرية) " .

وصفوة القـول أن قاشان كانت مركزا عظيما جدا من مراكز الصناعة الخزفيـة، وأن شهرة مصانعها ذاعت فى بلاد الشرق الاسـلامى قاطبة بين

---

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٥ لوحة ٧٠٩

(٢) انظر Wiet : L'Exposition persane de 1931 ص ٣٣ — ٣٤

القرنين السادس والثامن بعد الهجرة (الثانى عشر والرابع عشر بعد الميلاد)؛ بل إنها لم تفقد هذه المكانة فى القـرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)؛ وحسبنا دليلا على ذلك التربيعة القاشانية المحفوظة فى المتحف المتروبوليتان والمؤرخة من سـنة ٨٦٠ هـ (١٤٥٥م) والتى لم تفقـد ما نعرفه فى منتجات قاشان من دقة الصنعة و جمال الزخرفـة .

و يمتاز الخزف ذو البريق المعدنى من صناعة قاشان بأن معظم موضوعاته الزخرفية كانت توضيحية، و بأن الفنان لايخص صورة شخص بقسط أوفر من عنايته، بل يوزعها على كل أجزاء الرسم، على عكس ما نعرفه فى الخزف المصنوع بمدينة الرى؛ كما عنى الفنانون برسم الفروع النباتية المتصلة (الأرابسك) رسما دقيقا يغطى معظم الأرضية؛ وأكثروا من رسم البركة ذات السمك . وبين موضوعاتهم الزخرفية النباتية رسم و ريقات شجر فيها صفوف منحنية من نقط متجاورة، و رسم و ريقات أخرى ذات خمسة فصوص، و رسم شجرة السرو التى نرى عليها فى معظم الأحيان صورة الطائر المعروف باسم « أبو قردان » . أما الطيور التى أقبلوا على رسمها فى زخارفهم فأهمها أبو قردان هـذا، ثم البطة والقنبرة والحمامة .

وقد عرف الخزفيون فى قاشان صناعة التحف المصنوعة من عجينة ملونة، والمغطاة بدهان، فوقه الزخارف بالألوان المختلفة . وقد كان هـذا الضرب من الخزف (مينايى) ينسب الى مدينة الرى دائما، حتى عثر على بعض قطع جميلة منه فى أرض قاشان ثم كشف مخطوط استانبول[1] . والحق أن قصب

(١) راجع: H. Ritter, J. Ruska, F. Sarre, R. Winderlich: Orientalische Steinbücher und Persische Fayencetechnik ص ٣٠ و ٤٨

السبق فى إنتاجه كان لمدينة الرى دائما، وأن الخزفيين فى قاشان لم يتقنوه تماما ولم يثابروا على إنتاجه مدة طويلة. ومع ذلك فقد وصلتنا بعض تحف جميلة منه يرجح أنها من صناعة قاشان. ومنها سلطانية فى مجموعة ليهمان Ph. Lehmann، عليها نقوش فوق الدهان وفيها تذهيب. وقوام زخرفتها رسم شخصين بينهما شجرة وحولها فرعان نباتيان ورسم طيور صغيرة ( انظر شكل ١٠٣ ).

وفى دار الآثار العربية بالقاهرة تربيعتان من القاشانى المموه بالمينا، أرضيتهما زرقاء فيروزية اللون وعليهما زخارف من فروع نباتيـة مزهرة ومذهبة وقليلة البروز؛ وعلى إحداهما رسم فارسين يحث كل منهما مطيته على العدو الى الجهة اليسرى؛ بينما نرى على الأخرى رسم بهرام جور وحبيبته فى الصيد، فوق جمل ذى لون أحمر مائل الى السمرة، وفى يد الملك قوس يشده، أما حبيبته الراكبة خلفه فتعزف على عود[1]. وترجع هـذه التحفة الى القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى ).

ويجدر بنا فى هـذه المناسبة أن نشير الى الخزف ذى الزخارف البارزة بروزا قليلا، والمذهبة فى معظم الأحيان؛ فانه يشبه التربيعتين المذكورتين فى الصناعة وفى الزخرفة؛ وأكبر الظن أن معظم الأوانى التى صنعت على هذا الطراز مصدرها مدينة الرى؛ ومن المحتمل أن بعضها صنع فى قاشان وفى ساوه

وثمة ضروب أخرى من الخزف لم تكن وقفا على قاشان؛ ولكن الأرجح أنها نشأت فى هذه المدينة أو كانت ذات صلة وثيقة بها. ومن هذه الأنواع خزف أزرق زرنيخى ذو زخارف فوق الدهان منقوشة بالأبيض أو باللونين

---

(١) انظر الدليـل الموجز لمعروضات دار الآثار العربيـة ( تأليف فييت وترجمة زكى محمد حسن ) اللوحة ٢٢

الذهبي أو الأحمر؛ ومعظم هـذه الزخارف من الرسـوم النباتية والهندسية ، ولا سيما النقط والدوائر والأرابسك ، وقد تضاف الى هذا رسوم سمك يسبح ، كما فى سلطانية صغيرة كانت فى مجموعة هاردنج Harding بلندن (١) .

ومن أنواع الخزف الأخرى التى كثر إنتاجها بين القرنين الخامس والسابع بعد الهجرة ( الحادى عشر والثالث عشر بعد الميلاد ) نوع أخضر فاتح مائل الى الزرقة وعليه نقوش سوداء . ولا شك فى أنه كان يصنع بمدينة قاشان ، و إن كان من المحتمل أيضا أن الخزفيين فى مدينة الرى أنتجوا بعض أنواعه. وقد كان باطن بعض الأوانى من هـذا النوع مقسوما الى مناطق تتجمع فى القاع و يفصل كلا منها عن الأخرى شريط من الكتابة (٢) ؛ على أن أبدع القطع المعروفة من هذا النوع إبريق فى المتحف المترو بوليتان بنيو يورك ، له سطح خارجى مخرم ، وقوام الزخرفة فى هـذه التحفة رسوم غزلان وكلاب صيد وحيوانات مجنحة لهـا وجوه آدمية (٣) . وهى مؤرخة من سـنة ٦١٢ هـ ( ١٢١٥ م ) .

وفى مصر تحفة أخرى تشبهها فى الصناعة ؛ وهى إبريق فى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم ، مؤرخ من سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) وتنتهى رقبته على شكل رأس ديك ( انظر شكل ١٠١ ) . ولا ريب فى أن صناعة مثل هذه التحفة

---

(١) أنظـــر Koechlin und Migeon : Islamische Kunstwerke ، لوحة ٣١

(٢) راجع A Survey of Persian Art ج ٥ ، اللوحات ٧٣٤ أ و ٧٣٥ أ و ب و ٧٣٦ ب و ٧٣٧ ب ؛ Wiet : L'Exposition persane de 1931 لوحة ٢١ ب

(٣) أنظر A Survey of Persian Art ج ٥ لوحة ٧٣٨

تتطلب مهارة فنية عظيمة، لثقب سطحها الخارجى فى رسوم معقدة بدون كسره أو إتلافه، ولحرق القطعة فى الفرن بدون أن تلتوى أو تتجعد[1] .

وليس نادرا أن نرى بين التحف الخزفية الايرانية تماثيل حيوانات أو طيور أو أشخاص جالسين . وفى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم بضع تحف من هذا النوع؛ كما أن فى دار الآثار العربية طائرا من الخزف ذى اللون الفيروزى المحلى بخطوط سوداء (انظر شكل ١١١) ويرجع الى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)[2] ؛ وفيها أيضا جمل خزفى أزرق اللون . وفى متحف جامعة برنستون Princeton تمثال خزفى صغير يمثل مغوليا جالسا وفى يده زجاجة نبيذ ذات فوهتين (انظر شكل ١٠٨) .

## الخزف ذو اللون الواحد فى مدينتى الرى وقاشان

لعل أكثر أنواع الخزف انتشارا فى إيران فى عصرى المغول وبنى تيمور هو الخزف الأخضر والأزرق . وأكبر الظن أن مصانع الخزف كانت تنتج منه كميات هائلة أتيح استعمالها لمختلف طبقات الشعب . وكان جل هذه المنتجات ذا شكل أنيق يشهد بحسن الذوق الفنى، فضلا عن إتقان الصناعة، وتفهم أسرار تغطية التحف والأوانى بالطلاء، وحرقها فى الفرن . والحق أن الألوان المستخدمة كانت واسعة النطاق؛ فاننا نجد الأخضر والأزرق بدرجاتهما المختلفة، كما نجد فى بعض الأحيان الأصفر والأبيض والأرجوانى .

---

(١) راجع الكلام عن قطعتين من هذا الخزف، فى المصدر السابق ج ٢ ص ١٦١٢

(٢) أكبر الظن أن هذا الجمل من التحف الخزفية المصنوعة فى مدينة ساوه كما سيأتى فى الصفحات التالية .

أما زخارف هذا الخزف فكانت محزوزة أو مخرمة أو بارزة ، وكان قوامها رسوم طيور وحيوانات وفروع نباتية وأشرطة من الكتابات . وثمة أطباق من هـذا الخزف فى قاعها رسم سمكات تسبح[(١)] ، ويظن أنها تقليد لنوع من الأطباق المصنوعة فى الصين فى عصر «سنج»[(٢)] .

وفى مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم صحنان جميلان من هذا النوع الايرانى ذى السمكات . والواقع أن هـذه المجموعة غنية ببعض القطع الجميلة جدا من الخزف الايرانى ذى اللون الواحد ( انظر شكل ٩١ وشكل ١٠٠ ) .

ومن التحف الغريبة الشكل ، والتى كانت تصنع عادة من هذا الخزف ذى اللون الواحد ، قطع على هيئـة بيت ، لاسقف له فى معظم الأحيان ، وفى صحنه بضعة أشخاص حول آنية أو شجرة سرو . وقد تزين جدران البيت برسوم سباع بارزة أو برسوم عقود متتالية[(٣)] ، على أننا لا نعرف تماما الغرض الذى استخدمت له هذه التحف ، وقد تكون لعبة للأطفال على نحو ما نراه فى حلوى المولد النبوى فى العصر الحاضر ، كما قد تكون صورة لبعض الحفلات ذات العلاقة بأساطير الايرانيين ودينهم القديم .

## الخزف المصنوع فى مدينة ساوه

تقع ساوه على طريق القوافل من الغرب الى الشرق ؛ وهى جنوب غربى الرى ، وسط بينها وبين همذان فى الغرب وقاشان فى الجنوب[(٤)] . وقد كشفت

(١) انظر المرجع نفسه ، ج ٥ لوحة ١٧٦٩

(٢) حكمت أسرة سنج فى شمالى الصين بين عامى ٩٦٠ و ١١٢٧ بعد الميلاد ، وفى جنوبيها بين عامى ١١٢٧ و ١١٧٨

(٣) E. Kühnel : Islamische Kleinkunst شكل ٦٤

(٤) راجع Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate ص ٢١١

فيها كميات عظيمة من الخزف ذى البريق المعدنى الذى يرجع أقدمه الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)؛ وعثر المنقبون على قطعتين تالفتين فى الفرن مما يثبت أن هذا الخزف كان يصنع فى ساوه نفسها . وكشفت بعد ذلك مقادير وافرة من أنواع الخزف الأخرى، كما قيل إن آثار بعض أفران الخزف قد ظهرت فى أطلالها، مما ينبهنا الى مكانة هـذه المدينة بين المراكز الفنية فى إيران .

على أن الأساليب الفنية فى منتجات هذه المدينة لاتختلف كثيرا عما عرفناه فى الرى وقاشان؛ بل الواقع أن ساوه جمعت العناصر الزخرفية التى امتازت بها الأوانى الخزفية فى الرى وفى قاشان .

ومن منتجات ساوه سلطانية فى مجموعة اوسكار رفائيل Oscar Raphael وهى مؤرخة من سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)، وعليها رسم سيدات فى حديقة وأمامهن بركة يسبح فيها السمك ( أنظر شكل ٩٤ ) .

ومنها كذلك إبريق فى معرض فرير Freer Gallery، يرجع الى نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)، وقوام زخرفته رسوم سيدات وبطوريقات عليها نقط، مما يثبت العلاقة الوثيقة بين منتجات قاشان وساوه ( أنظر شكل ٩٦ ) .

وينسبون الى ساوه عددا من التماثيل الخزفية التى تمثل بعض الحيوانات والطيور . ومنها أســـد رابض من الخزف ذى الدهان الأزرق الفيروزى ( أنظر شكل ١١٢ ) وهو فى مجموعة كيفوركيان Kevorkian . ومنها جمل من الخزف ذى الدهان الأزرق الغامق، محفوظ فى دار الآثار العربية بالقاهرة

(رقم السجل ١٤٣٥٨) . وكلاهما ليس تحفة خزفية فحسب، بل يشهد بمهارة الفنانين فى صناعة التماثيل أيضا .

وصفوة القول أن ساوه كانت مركزا عظيما لصناعة الخزف؛ ومن المحتمل أن الخزفيين فيها كانوا ينسجون قصدا على منوال زملائهم فى الرى وقاشان؛ كما يحتمل أيضا أن بعضهم نشأ فى إحدى هاتين المدينتين ثم هاجر الى ساوه كسبا للرزق أو فرارا من وجه المغول .

## الخزف المصنوع فى سلطاناباد

كان يحيط بمدينة سلطاناباد فى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة (الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد) عدد من القرى التى أصابت فى صناعة الخزف شهرة واسعة . وقد عثر المنقبون عن الآثار فى أطلال تلك القرى على كميات وافرة من الخزف، ينسبونها اختصارا الى سلطاناباد .

والمعروف أن هذا الخزف يذكر كثيرا بما كان يصنع فى مدينة قاشان؛ بينما لم يعثر فى أطلال إقليم سلطاناباد على كثير من الخزف الذى امتازت بصناعته مدينة الرى .

وقد لوحظ أن الدهان الذى يغطى الخزف المنسوب الى سلطاناباد يصيبه الكمخ[1] أكثر من المعروف فى سائر أنواع الخزف الإيرانى؛ كما لوحظ أيضا أن بعض أشكال السلطانيات لم نعرفه الا فى سلطاناباد؛ ولعله كان وقفا عليها[2] .

---

(١) الكمخ هو التقزيح أى التلون بألوان قوس القزح . راجع حاشية ١ فى صفحة ١٧٧ من كتابنا « كنوز الفاطميين » .

(٢) أنظر مثلا A Survey of Persian Art ج ٥ لوحة ٨٧١ أ و ب .

ويمتاز الخزف الذى صنع فى سلطاناباد بقلة الألوان المستخدمة فيه ، وبدقة رسوم الحيوانات ، وبتوزيع الألوان بحيث يصعب التمييز بين ألوان الأرضية وألوان الزخارف . ولعل العناية برسم الحيوان رسما يمثل الطبيعة تمثيلا صادقا ، نقول لعل هـذه العناية راجعة الى تأثير الشرق الأقصى . ومهـما يكن من الأمر فان الخزفيين فى عصر المماليك نسجوا على منوال زملائهم فى سلطاناباد وأنتجوا خزفا جميلا ومزينا برسوم طيور وحيوانات ماونة تحت طبقة المينا[1] .

كما يمتـاز خزف سلطاناباد بصفاء ألوانه واعتداله واتزانها ؛ ولكن علينا أن نذكر أن ما ينسب من الخزف الى هذه المدينة والى الرى لا يمكن الجزم بأنه صنع فيهما ؛ فقد حازتا فى العصور الوسطى شهرة واسعة ؛ ولكن قاشان وساوة ونيسابور كانت ، مثلهما ، مراكز عظيمة لصناعة الخزف . وحسبنا أن الحفائر التى قام بها المنقبون عن الآثار فى إيران أسفرت عن كشف فرن خزفى واحد فى الرى ، بينما كشفت فى قاشان خمسة أفران .

وقـد دلت الحفائر فى أنقاض بعض المدن الايرانيـة على انتشار صناعة الخـزف انتشارا واسـعا ، وعلى أن كثيرا من الأصناف لم تكن وقفـا على بلد بعينـه ؛ ولا سيمـا أن أنقاض الأفران وآثار القطع التالفـة أثناء حرقها فى الفرن تنفى أن تكون النمـاذج التى عثر عليهـا فى بعض المراكز واردة من مراكز أخرى .

---

(١) راجع ص ٧٠ و ٧١ من الدليل الموجز لمعروضات دار الآثار العربيـة ، الذى كتبه الأستاذ فييت وترجماه الى العربية .

وحسبنا على سبيل المثـال أن مدينـة سلطانية التى اتخـذها السلطان الجايتو خدابنده عاصمة لملكه ، وشيد فيها العمائر الضخمة ، ازدهرت فيهـا صناعة الخزف حينا من الدهر ، وصنعت فيها أنواع جيدة من الخزف الايرانى(١) ، ولكنها لا تختلف عما كان يصنع فى المدن الأخرى .

ومهما يكن من الأمر ، فقد أنتج الخزفيون فى سلطاناباد خزفا ذا بريق معدنى يصعب تمييزه مما كان يصنع فى مدينة قاشان .

على أن أخص ماأمتاز بصناعته الخزفيون فى سلطاناباد ضرب من الخزف ، منقوشة زخارفه باللون الأسود أو الرمادى فوق قشرة بيضاء ، وفوق الزخارف طلاء شفاف . وقد تكون الزخارف بارزة بعض البروز عوضا عن أن تكون منقوشـة فحسب . ومعظم الرسوم التى نجـدها على هـذا الخزف من زهور اللوتس وورقات الشجر وفى بعض الأحيان من الطـيور التى تأثر الفنانون فى رسمها بالأساليب الصينية تأثرا ظاهرا ، والتى قـلدها الخزفيون فى مصر إبان عصر المماليك .

ومن أبدع التحف الخزفية المنسوبة الى سلطاناباد إناء صغير فى مجموعة يومورفوبولوس Eumorfopoulos ( أنظر شكل ١١٤ ) وتمتاز هذه التحفة بان اسـتدارتها غير تامة ، وبأن جسمها ذو فصوص ، كما تمتاز بأناقتها ودقة صنعها وابداع الزخرفة التى تزين قاعها ، وهى رسم شخصين يتحـدثان أو يفحصان شيئا فى أهتمام ظاهر . وترجع هذه التحفة القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) .

---

(١) انظر D. T. Rice : Some wasters from Sultanieh فى مجـلة The Burlington Magazine سنة ١٩٣٢ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

## الخزف فى العصر الصفوى

كان هذا العصر كله نهضة وازدهار فى صناعة الخزف الايرانى . وامتازت الأوانى فيه بابداع شكلها وتنوعها ، و بالعناية والدقة فى رسم زخارفها ، وبالذوق السليم والظرف فى اختيار ألوانها وأنواعها . وأصاب الفنانون توفيقا عظيما فى استخدام اللون الأصفر، ولا سيما فى مصانع الخزف بمدينة إصفهان . كما أنهم عرفوا كيف يستخدمون اللون الواحد فى صفاء و إتقان يذكران بما وصل اليه الخزفيون الصينيون فى هذا الميدان .

وأكبر الظن أن أعلام المصورين كانوا يعنون باعداد الصور لزخرفة الأوانى الخزفية، كما يتجلى فى بعض تحف عليها رسوم تنم عن ريشة المصور محمدى[1] ، وفى بعض قطع أخرى تشهد رسومها بانها من عمل رضا عباسى أو أحد الفنانين النابهين الذين تأثروا بأسلوبه الفنى .

ومن أعظم مراكز الخزف فى إيران إبان العصر الصفوى إصفهان وقاشان ويزد ومشهد وشيراز وكرمان وزرند .

وامتاز العصر الصفوى بنوع من الخزف ذى البريق المعدنى كان يصنع فى قاشان و إصفهان وتبريز ؛ وأكثر منتجاته أباريق على شكل الكمثرى أو سلطانيات غير عميقة ، ومعظم الزخارف المستخدمة فيه من النبات والزهور، فلا ترى عليه الصور الآدمية والحيوانية إلا نادرا . وأرضية هذا الخزف عاجية اللون أو زرقاء فاتحة، أما الموضوعات الزخرفية فذات بريق معدنى يختلف بين اللون الأحمر والأصفر والذهبى ؛ و يمتاز بشدة لمعانه ، اذ تنعكس من التحفة ألوان تكاد تبهر الأبصار .

---

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٥ لوحة ٧٩١ ح ولوحة ٧٩٢ ب .

وقد ازدهرت صناعة هذا الخزف ذى البريق المعدنى فى نهاية القرن العاشر وفى القرن الحادى عشر بعد الهجرة (فى بداية السادس عشر وفى السابع عشر بعد الميلاد) .

والمشاهد فى معظم الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى من العصر الصفوى أن أرضيتها ذات لون واحد، يغلب أن يكون الأبيض أو الأزرق النـافض (أى الشـاحب أو الباهت) أو الأصـفر الليمونى أو الأخضر الفاتح، ثم تنقش الزخارف بالبريق المعدنى فوق الأرضية المذكورة . وتكثر فى زخارف هذه التحف رسوم الزهور والأشجار والأعشاب .

وقد وصلت الينا سلطانية عليها اسم صانعها : «حاتم» ؛ وهى محفوظة الآن فى المتحف البريطانى[(١)] . وأكبر الظن أن معظم التحف المعـروفة من هذا الخزف ترجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) .

على أن أخص ما امتـاز بانتاجه الخزفيون فى العصر الصفوى هو نوع من خزف أبيض كانوا يقلدون به الخزف المصـنوع فى الشرق الأقصى، وكانت زخارفه زرقاء منقوشة تحت الدهان .

وفضلا عن ذلك كله فقد قـلد الايرانيون أهل الشرق الأقصى فى عمل الصينى وفى استخدام الألوان الهادئة والزخارف الصينية . وكان مما أنتجوه فى هذا الميدان سلطانيات وأطباق كبيرة الحجم، فيها اللونان الأزرق والأبيض، وتبدو لأول وهلة صينية الصناعة[(٢)] .

---

(١) انظر R. L. Hobson : A Guide to the Islamic Pottery of the Near East ص ٧٧ رقم ٨٠

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٦٩

والمعروف أن الشـاه عباس أحضر كثيرين من الخزفيين الصينيين مع أسراتهم الى إيران لينشروا فيها صناعة الصينى، حتى يمكن أن تصدره إيران الى البلاد الغربية ، وتنال منه الأرباح الطائلة التى كانت تتدفق الى الشرق الأقصى . والظاهر أن هؤلاء الفنانين استقروا فى إصفهان ؛ ولكنهم لم يلبثوا أن تأثروا بالمحيط الفنى ، فدبت الى منتجاتهم بعض الموضوعات الزخرفيـة الايرانيـــة .

وقـد روى بعض الرحالة أن تاجرين صينيين كان لهما حانوت لبيـع « الصينى » بمدينـة أردبيل فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ( العاشر الهجرى )[(١)] . وقـد جمع ملوك إيران منذ الشاه عباس مجموعة كبيرة جدا من الخزف الصينى، حفظوها فى مسجد أردبيل . ومهما يكن من الأمر فقـد أصاب الخزفيون الايرانيون ، منذ النصف الأول من القرن العاشر الهجرى ( السادس عشر الميلادى ) ، توفيقا عظيما فى صناعة هـذا الخزف الأبيض والأزرق ، كما يظهر من ثلاث تحف مؤرخة ، إحداها إبريق نبيـذ كبير فى متحف فكتوريا وألبرت[(٢)] ومؤرخ من سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م)، والثانية قرص فى القسم الاسلامى من متاحف برلين[(٣)] ومؤرخ من سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣م)

(١) انظـــر Sarre : Denkmaeler persische Baukunst ص ٣٤ ؛ A. Olearius: Voyages très curieux et très renommez (II, Leyden, 1719) ، ص ٦٢٣

(٢) انظـر Ettinghausen : Important pieces of Persian Pottery in London Collections فى مجلة Ars Islamica ج ٢ (١٩٣٥) ص ٥٣ — ٥٤ شكل ١٤

(٣) انظر Kühnel : Datierte Persische Fayencen فى Jahrbuch der Asiatischen Kunst (١٩٢٤) ص ٤٩ وشكل ١٠

وعليه اسم صانعه عبد الواحد، والثالثة تربيعة فى متحف فكتوريا وألبرت ومؤرخة من سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٢ م) وعليها إمضاء محمد رضا الامامى .

ومن القطع الجميلة من هذا النوع قنينة فى القسم الاسلامى من متاحف الدولة فى برلين، عليهـا رسم أسـد خيالى ينبعث اللهب من كتفيه ( انظـر شكل ١١٧ ) ، وقد جاء هذا الرسم على بعض السجاجيد المصنوعة فى القرن العاشر الهجرى ( السادس عشر الميلادى ) . ومن تلك التحف كذلك بطة فى مجموعة المسز دنجوال Mrs. Kenneth Dingwall (انظر شكل ١١٦) .

* * *

وثمة نوع آخر من الخزف الصفوى ينسب الى قرية كوبچى فى داغستان ( انظر شكل ١١٨ ) . وهو صنفان : الأول أسود وأخضر أو أزرق والثانى متعـدّد الألوان وذو زخارف آدميـة . أما الصنف الأول فيظن أنه كان يصنع بمدينة تبريز فى نهاية القرن التاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) كما تدل على ذلك بعض القطـع المؤرخة . بينما يرجـع الثـانى الى القـرن الحادى عشر الهجرى ( السابع عشر الميلادى ) .

والمعروف أن أهـل كوبچى كانوا يشتغلون بصناعة الأسلحة والتحف المعدنية، وأنهم لم يعنوا بصناعة الخزف . ولذا فان الأرجح أن هذا الخزف الذى عثر عليه فى إقليمهم كان يرد من إيران نفسها، وإنهم كانوا يحصلون عليه ثمنا للاسلحة والتحف المعدنية التى كانوا يصدرونها الى إيران ، وأنهم كانوا يقدرونه حق قدره، ويحلونه فى بيوتهم محل الشرف، فيعلقونه على الجدران ويزينون به الغرف .

ولعل أبدع أنواع هذا الخزف الأطباق الرقيقة التى نرى زخارفها سوداء حالكة وفوقها طلاء أخضر فيروزى يكسو الاناء كله؛ ثم الأطباق والتربيعات التى تنقش زخارفها باللون الأحمر الباهت أو الأصفر أو الأزرق أو الأخضر فوق قشرة بيضاء؛ ولكننا نستطيع أن نقول، بوجه عام، إن خزف كوبجى لم يكن فى العـادة ممتازا فى ألوانه أو فى دهانه، كما أن رسومه لم تكن متقنة إلا فى النادر .

* * *

وقـد قلد الخزفيون الايرانيون فى العصر الصفوى السيلادون الصينى[1]، ولا سيما فى مدينة إصفهان . وأصابوا فى هـذا الميدان نجاحا كبيرا فى القرن الحادى عشر الهجرى ( السابع عشر الميـلادى ) . وصفوة القـول أن تأثر الخـزفيين الايرانيين بأسـاليب زملائهم فى الشرق الأقصى كان عظيما جدّا فى العصر الصفوى، حتى صارت إيران تنافس الصين نفسها فى تصدير الخزف الى أوربا .

---

(١) نوع من الصينى عليه طبقة من المينا ذات اللون الأخضر الناضج (الباهت) .